

الدور والفن في كسوع

للأستاذ أنور الجندي

مدرسة الرسالة

في ١٥ يناير سنة ١٩٣٢ بزغ النجم فصدر العدد الأول من الرسالة ، وفي أول سبتمبر سنة ١٩٥٢ يصدر العدد الألف من هذه المجلة خلال فترة بلغت عشرين عاما ، تطور فيها الأدب والفكر والفن ، وانتقل من مرحلة إلى مرحلة ، وسأيرت الرسالة هذه النهضة ووجهتها وتفاعلت معها ، وتركت فيها آثاراً قوية حية ما تزال باقية خالدة

وفي خلال هذه النهضة الأدبية التي بدأت بعد الحرب العالمية الأولى نشأت مدرستان : مجلة السياسة ومجلة الرسالة

أما مدرسة السياسة فقد بدأت منذ عام ١٩٢٢ وانتهت عام ١٩٣١ ، أما مدرسة الرسالة فإنها منذ بدأت لم تنته ، وما زالت تواصل جهادها في قوة

كانت مدرسة السياسة تنشيء الأدب الجديد ، وتواجه التيارات المختلفة ، وتقف من الحضارة الأوربية ومن القديم والجديد ، ومن الشرق والغرب ؛ موقفاً بين الوضوح والغموض ، وبين الاتزان والشطط ، وبين الاعتدال والاضطراب

أما مدرسة الرسالة فقد جاءت بعد أن استقرت الأمور ، ونضج الأدب وابتت ثماره دانية القطوف ، وانتهت المرحلة المعصية الحادة إلى غير عودة

وبينا كانت مدرسة السياسة تقول بالفرعونية ، وتدعو إلى التضييق بكتابين متوالين عن الشعر الجاهلي ؛ والخلافة وأصول الحكم ؛ كانت الرسالة تقول بالامتراج ، وتقريب وجهات النظر ورعاية القديم وبثه ، وتقبل الجديد بمد دراسته وتقده

وكان الصراع في « السياسة » بين الأدب القديم والجديد ، أقرب إلى المدم منه إلى البناء ؛ فلما جاءت الرسالة وامت بين

القديم والجديد ، وبين الشرق والغرب على هدى وبصيرة وبعد أن مالت « السياسة » بالأدب إلى النيل من شوق والرافعي ، جاءت الرسالة فأنشأت روحاً جديدة قوامها الجمع بين روح الأدب القديم والجديد ، ورفع مستوى المقول والأفكار والنفوس عن ميدان الصراع ، وخلق ميدان البناء والإنشاء. وفي مدرسة « السياسة » كتبت الأقلام التي أبرزتها النهضة بعد ثورة ١٩١٩ : طه حسين ، وهيك ، واللازقي ، وعنان ، ومحمود عزمي .. أما في الرسالة فقد كتبت هذه الأسماء ، ونشأت في محيطها أقلام جديدة هي صفوة الكتاب الذين يلون الصف الأول

وبعد أن كانت الكتابة في « السياسة » من ذلك النوع الذي أطلق عليه الدكتور طه حسين اسم « الأدب الموضوعي » وهو النقد ، جمعت « الرسالة » بين الأدب الموضوعي والأدب الإنشائي .. وكان الخلق والفن الجديد أغلب

كان قوام مدرسة الرسالة روح « الزيات » ، الأسلوب البليغ ، والمباراة المترنة ، والكلمة النقية ، والنقد الغزيب ، والإبداع ..

وبالرغم من أن بعض كتاب « السياسة » انتقلوا إلى الرسالة إلا أن إنتاجهم قد تطور وتحول من حال إلى حال

فالدكتور طه حسين الذي كان يكتب فصلاً في تصوير الحياة الاجتماعية في العصر الأموي والعباسي تحت عنوان « حديث الأربعماء » في « السياسة » ، كتب فصلاً غاية في الروعة عن سيرة الرسول في الرسالة باسم « على هامش السيرة » ، وكان هذا فناً جديداً من فنون القول والإنشاء

والرافعي الذي كان يكتب حديث القمر ، وأوراق الورد ، والمساكين وغيرها قبل أن يتصل بالرسالة ، فلا يقرأها إلا صفوة قليلة من الأدباء ، كتب في الرسالة أجود إنتاجه ، ونزل إلى مرتبة القراء الوسط ، وخلف كتاباً ضخماً هو « وحى القلم »

ونوفيق الحكيم بدأ على صفحات الرسالة أول كتاباته في الأدب والفن في مساجلاته مع طه حسين عن نشأة الحوار ، والفن الإغريقي والفرعوني

وعلى صفحات الرسالة بدأ العقاد عبقرية محمد والحكيم قصة

هل يكتب التاريخ من جديد

فارق كبير بين ما يكتب الآن ، وبين ما كان يكتب قبل ٢٣ يولييه ١٩٥٢ ، إن القيود التي كانت موضوعه على الحقائق قد رفعت ، فأصبح في مقدور كل من يعرفها أن يعطيها صاغة ، هذه الحقائق هي مادة التاريخ ، الذي يجب أن يكتب من جديد إن الأحزاب السياسية التي كانت تلي الحكم في الثلاثين عاما الأخيرة قد كانت في حديث الصحف والكتب قبل هذا التاريخ صاحبة أجاد ، وكان فلان وفلان وفلان هم زعماء الشعب ، أما الآن فقد أمكن أن يقال الحقيقة ، وهي مدى الأثر الذي تركته هذه الأحزاب بصراعها ونفاقها في البلاد

إن الملك السابق كانت تكال له عبارات التعجيد والتقدير والإعجاب من رجال السياسة والدين والصحافة ، وقد تحول هذا كله اليوم إلى إعصار من الحقائق التي كانت محجوبة . . والتي كان يمكن أن تظل محجوبة وقتا طويلا لولا هذا الانقلاب والصحف قبل ٢٣ يولييه كانت تحمل أشياء كثيرة ، لا أظن أنها صالحة لكتابة تاريخ مصر كتابة صحيحة ، ولا أظن أنها المادة النافعة لهذا ، والمؤرخ الذي سيعتمد عليها سيكتب حتما صورة خاطئة لمصر

وقد ألفت في هذه الفترة الطويلة كتب عن فاروق وفؤاد وإسماعيل وعن سعد زغلول والنحاس ، وعن السياسة والوطنية والمجتمع ، كل هذه المؤلفات ما عدا القليل منها أصبح زائفا ولم يكن هناك غير عبد الرحمن الزاقي وفتحى رضوان وبعض كتاب الإخوان المسلمين الذين كانوا يقولون بعض الحقيقة أو يحاولوا في لباقة أن يقولوا الحقيقة المرة

لقد كانت المطامع والأهواء تغشى على كل شيء ، فلطالما زيفت الصحف الحقائق ، وقالت غير ما هو كائن ، وصورت الأمور على غير وجهها ، وكان ذلك في بعض الأحيان رغم أنها ، وفي بعضها الآخر بإرادتها ، وكانت بعض الصحف مشتراة ، للأحزاب أولغير الأحزاب ، لتزييف هذه الحقائق ، ولذلك وجب أن يكتب تاريخ مصر : تاريخ الملك والأحزاب والسياسة والأزهر من جديد بعد أن أصبح ذلك فعلا في مقدور كل كاتب

أبها الكتاب : اكتبوا تاريخ مصر من جديد أنور الجنبى

محمد المرحية ، ومن ذا الذى ينسى مقالات عبد الرحمن شكرى فى الرسالة بعد أن ظل أعواما وأعواما لا يكتب حتى نسبة الناس وعبد الوهاب عزام وأسفاره ورحلاته ، وكتاباته عن التصوف

والكتاب الذى يعد أجل ما كتب زكى مبارك بدأه فى الرسالة : « ليل المريضة فى العراق »

والقصصى الإغريقى الخالد ، كتب لأول مرة على صورة رائعة فى الرسالة عندما أنشأه دربنى خشبة

والمساجلات الرائعة الخالدة ، كانت صفحات الرسالة منبرها أمثال « بين الرافعى والمعاد » « بين سيد قطب ومحمود محمد شاكر وسميد العريان » « ولا يقينون وسكيتون » بين المعاد وطه حسين

و« صداقات الأدباء » بين توفيق الحكيم وزكى مبارك والمعاد و« ما زكى مبارك وكتاب الله » بين زكى مبارك ومحمد أحمد الغمراوى

و« الشيخ الرضى » بين زكى مبارك والسباعى يومى و« أومن بالإنسان » بين على الطنطاوى وعبد النعم خلاف و« الأدب المهموس » بين محمد مندور وسيد قطب والمذهب الرمزي والتبائى بين المعاد وكثير من الكتاب وكان للرسالة فضل فى إبراز شخصيات أدبية غاية فى القوة فى مصر والشرق وفى مقدمتها : الأستاذ صلاح النجد وعلى الطنطاوى وناجى الطنطاوى وجواد على وفهمى عبد اللطيف وأنور المطار وسميد العريان ومحمود محمد شاكر وعزيز أحمد فهمى ومحمود الخفيف وعبد النعم خلاف

ومن كتابه ثلاثة كانوا غاية فى القوة ، وكان ينتظر لهم مستقبل حافل ، لولا أنهم انتحروا : غفرى أبو السعود وفيلكس فارس وإسماعيل آدم أحمد

وغاية القول أن مدرسة الرسالة كانت مدرسة الخلق والإنتاج ، وأن الأدب المعاصر مدين لها بكل ما فيه من قوة وعظمة وجلال ، ولا نبالغ إذا قلنا إن كتابا من الكتب الأدبية الحديثة لم يكن قبل صدوره إلا منصوبا فى مجلة الرسالة . ونحن نهنى الأستاذ الزيات بهذا الفضل الذى طوق به الأدب العربى الحديث